الْبَابُ الرَّابِع: أَحْوَالُ مُتَعَلَّقَاتِ الْفِعْلِ

ثُمَّ مَعَ المَفْعُولِ حَالُ الفِعْلِ * كَحَالِهِ مَعْ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ

تَلَبُّسٍ لاَ كَوْنُ ذَاكَ قَدْ جَرَى * وَإِنْ يُرَدْ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذُكِرَا

النَّفْيُ مُطلَقًا أَوِ الإِثْبَاتُ لَهْ * فَذَاكَ مِثْلُ لاَزِمٍ فِي المَنْزِلَهْ

مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ وَإِلاَّ لَزِمَا * .....

المعنى الإجمالي لهذه الأبيات:

الجملة الفعلية؛ تارة يقصد منها ذكر الحدث فقط، دون ذكر من وقع منه، أو عليه الحدث، نحو: حَصَلت مسابقة أو سَرِقة. وتارة يقصد ذكر الفاعل فقط، ولا نحتاج للمفعول، ولو كان الفعل في أصله متعدِّيًا نحو: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)، (وأنه هو أضحك وأبكى). وتارة نحتاج إلى المفعول، ونرتب عليه أحكامًا؛ ولو حُذِف لفظًا. فالمذكور نحو: شَرِب عليٌّ نبيذًا(عصيرًا)، والمقدَّر نحو: (والله يدعو إلى دار السلام).

في هذا الباب من أبواب المعاني؛ سنركز على الجملة الفعلية التي يحتاج فيها الفعل إلى المفعول. حيث سنتعرف على أغراض البلاغة المتعلقة بالمفعول، من حذفٍ، وتقديمٍ، ومن حيث ترتيبُه بين المنصوبات الأخرى.

ولنبدأ الآن بالأغراض البلاغية في حذفه:

..... * وَالحَذْفُ لِلْبَيَانِ فِيما أُبْهِمَا

أَوْ لِمَجِيءِ الذِّكْرِ أَوْ لِرَدِّ * تَوَهُّمِ السَامِعِ غيْرَ الْقَصْدِ

أَوْ هُوَ لِلتَّعْمِيمِ أَوْ لِلْفَاصِلَهْ * أَوْ هُوَ لِاسْتِهْجَانِكَ الْمُقَابَلَه

يحذف المفعول به لأغراض عدة، منها:

١-بيانُه بإبهامه، لتمكينه في النفس، نحو: (ولو شاء لهداكم أجمعين).

٢-لكونه سبق ذكرُه، والإيجاز مطلوب. نحو: (فاقض ما أنت قاضٍ).

٣-دفع توهُّمِ غيرِ المراد، كقول البُحتُري:

وكم ذُدْتَ عنِّي مِن تحامُلِ حادِثٍ * وسَوْرةِ أيامٍ حَزَزْنَ إلى العظم.

٤-إرادة التعميم، كقوله تعالى: (والله يدعو إلى دار السلام). ليشمل كل من يمكن توجيه الدعوة إليه.

٥-لمراعاة الفاصلة في القرآن الكريم، والسجع في المنثور، والقافية في الشعر. كقوله تعالى: (وما قلى). أي قلاك.

٦-استهجانُ مقابلةِ المخاطَبِ بذكرِ المفعول، كقول أم المؤمنين عائشةَ ﵂: (ما رأيت منه، ولا رأى مني).

أما أغراض تقديم المفعول على الفعل؛ فقال فيها الناظم:

وَقَدِّمِ المَفْعُولَ أَوْ شَبِيهَهُ * رَدًّا عَلَى مَنْ لَمْ يُصِبْ تَعْيِينَهُ

تقول خالدًا ضربتُ، جوابًا لمن سألتك: أخالدًا أم زيدًا ضربتَ؟ فقُدِّم المفعول على متعلَّقِه (الفعلِ)، لتعيين المضروب، أو تصحيح ما هو خلاف الواقع. وهذا التقديم يفيد الحصرَ أيضًا، وسيأتي في باب القصر، وفي الاستفهام عن التصور في باب الإنشاء.

وقِس على المفعول ما يشبهه، أي بقيةَ المنصوبات، **كالحال** مثلًا. فتقول: راكبًا جئتُك، لأني ظننتُك جئت ماشيًا. وهكذا **المفعولُ فيه**: اليوم وصلت، أي ليس أمسِ. **والتمييزُ**: عِلْمًا ازددتُ، أي لا مالًا. **والمفعولُ له**: إجلالًا قمت له، لا خوفًا.

وَبَعْضُ مَعْمُولٍ عَلَى بَعْضٍ كَمَا * إِذَا اهْتِمَامٌ أَوْ لأَصْلٍ عُلِمَا

معمولات(مدخولات)الفعل هي الفاعل، وبقية المنصوبات؛ وهذه المعمولات؛ إذا اجتمعت في جملة؛ فلها ترتيب في العربية، لا يُقدَّم معمول على آخر؛ إلا لأهمية في المقدَّم على غيره، ويكون حينئذ؛ خلافَ الأصلِ. وترتيبُها كالتالي:

الفاعل، ثم المفعول به، ثم المصدرُ(المفعول المطلق)، ثم المفعولُ له، ثم ظرفُ الزمان، ثم المكانِ، ثم المفعولُ معه، ثم الحالُ. على خلاف يسير في هذا الترتيب.

مثال: جاء زيد اليوم مسرعًا. جاء الشيخ وطلابَه مسرعًا. شربت الماء مرتين اليوم.

وقوله: (أَوْ لأصْلٍ عُلِمَا)، أي: إذا اجتمع مفعولان في باب ظن وأخواتها، وعلِمتَ المبتدأَ منهما قبل دخول واحد من أفعال ظنَّ؛ فاجعل المبتدأ هو المفعولَ الأولَ، لأنه الأصل. نحو: ظننتُ خالدًا قائمًا، ولا تقل: ظننتُ قائمًا خالدًا. ولا ظننته قائمًا خالدًا. لأن خالدًا مبتدأ، قبل دخول ظن.

وكذلك إذا اجتمع مفعولان؛ أحدهما الفاعل المعنوي فيقدم، نحو: ألبستُ زيدًا الثوبَ، قال ابن مالك: (والأصلُ سبقُ فاعلٍ معنًى كمَن * مِن ألبسنْ مَن زاركم نَسْجَ اليمن). فإن قدم الآخِرُ فخلاف الأصل، ويكون له غرض، نحو: أعط درهمًا زيدًا.

الْبَابُ الخَامِسُ: الْقَصْرُ

القصر لغة: الحبس، ومنه قوله تعالى: (حور مقصورات في الخيام)، واصطلاحًا: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. والشيء الواقع أوَّلًا؛ يسمَّى: مقصورًا، والواقع ثانيًا؛ يسمَّى: مقصورًا عليه. وللقصر طرق وأدوات، سنتعرف عليها فيما بعد. ولْنأخذ مِثالًا: (لا إله إلا الله)، قصرنا (إله) أي الألوهية على (الله) المألوه. فـ(إله): مقصور، و(الله): مقصور عليه.

تذكر؛ أن المقصور يقع أوَّلًا، والمقصور عليه يقع ثانيًا. وهذا دائمًا، وباطِّراد.

القَّصْرُ نَوْعَانِ حَقِيقِيٌّ وَذَا * نَوْعَانِ وَالثَّانِي إِضَافِيٌّ كَذَا

فَقَصْرُ صِفَةٍ عَلَى المَوْصُوفِ * وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ المَعْرُوفِ

معنى هذين البيتين: أن القصر منه حقيقيٌّ، ومنه إضافيٌّ، أو نسمِّيه مجازيٌّ. وكل من الحقيقي والإضافي؛ يأتي في القصر لصفة على موصوف، أو موصوف على صفة. انظر الخارطة.

وإليك الأمثلة:

١- قصرٌ حقيقي لصفة على موصوف: لا إله حقٌّ إلا الله، ما في الدار إلا زيد. قصرنا صفة الوجود في الدار على زيد. أي ما موجود في الدار....

٢- قصرٌ حقيقي لموصوف على صفة (نادر جدًّا) نحو: ما هذه القطعةُ إلا ذهبٌ.

٣- قصرٌ إضافي لصفة على موصوف: ما كاتب إلا زيد.

٤- قصر إضافي لموصوف على صفة: ما زيد إلا كاتب.

والمقصود بالقصر الإضافي (المجازي)؛ القصر بالنسبة إلى شيء آخر معيَّنٍ، لا مطلقًا، ويكون دفعًا لتوهُّم، أو ردًّا على سؤال، مثال: ما زيد إلا شاعر، لمن ظن أن زيدًا كاتب وشاعر. وما سافر إلا سعيد، في جواب من سأل: هل سافر مع سعيد أحد من أهله؟

وقد يكون زيدٌ خَطَّاطًا، وطَبِيباً، ومُعلمًا للقرآن، لكن في جانب الأدب: (القصة، الرواية، الخطابة، الشعر، الكتابة)؛ في هذا الجانب ما هو إلا شاعر فقط. ولذلك سميناه قصرًا إضافيًا، أومجازيًّا.

أي إنَّ المقصور؛ لا يمكن أن يحصر في شيء واحد، لا بد أن تكون له صفات أخرى، لكن نقول بالنسبة للناحية الفلانية فما هو فيها إلا كذا.

ولذلك قلنا إن قصر الموصوف على الصفة حقيقةً؛ نادرٌ جدًّا.

طَرِيقُهُ النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَا هُمَا * وَالْعَطْفُ وَالتَقْدِيمُ ثُمَّ إِنَّمَا

دِلالَةُ التَّقْدِيمِ بِالفَحْوَى وَمَا * عَداهُ بِالْوَضْعِ .....

في هذين البيتين بيَّنَ طرقَ القصرِ عند العرب. أي الأدوات، والأساليبَ. وأن منها ما هو صريح، ومنها ما يُفهم بفحوى الكلام. وإليك البيان:

الطريقة الأولى: استعمال النفي والاستثناء. فيدخل النفي على المقصور، ويقع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء. نحو: لا إله إلا الله.

الطريقة الثانية: استعمال واحد من حرفي العطف (لا، بل)، نحو: اشتريت فطيرة لا خبزة. ما أنا بشاعرٍ بل كاتبٍ.

الطريقة الثالثة: استعمال الحرف (إنما)، ويَـلِيْهِ المقصورُ، ثم المقصورُ فيه. نحو: إنما اللهُ إله واحد؛ هذا حَصْرٌ في كونه ﷻ إلهًا واحدًا، ردًّا على من ظنَّ أنه – سبحانه – ثالثُ ثلاثة. إنما محمد بشر؛ هذا حَصْرٌ في البشرية، ردًّا على من اعتقد أنه ﷺ لا يموت، أو اعتقد فيه بعضَ صفاتِ الإلـهية.

الطريقة الرابعة: استعمال فحوى الكلام(المعنى، واللحن)، وذلك؛ بتقديم ما حقُّه التأخير، كالخبر على المبتدأ، نحو: المجتهد خالد، أي لا غيرُه. رجل أنا، أي لا طفل. وكتقديم المفعول على الفعل، نحو: زيدًا ضربتُ، أي لا غيرَه.

وقول الناظم ﷺ: (وما عداه بالوضع)، أي: وماعدا الفحوى؛ فيفيد القصرَ بالوضع، أي بما وضعته العرب من أدوات، واشتهر في لغتهم. وهي الطرقُ الثلاثُ الأولى.

ومما يفيد القصر بالفحوى؛ كون المبتدأ والخبر معرفتين، نحو: (الحج عرفة)، أي إنما الحج عرفة، و(الدين النصيحة)، أي ما الدين إلا النصيحة. وضمير الفصل نحو: (والله هو

الغني الحميد) أي لا غيرُه، و(الدعاء هو العبادة) أي لا غيرُها، وزيد هو الكاتب، أي لا غيره.

.....* ..... وَأَيْضًا مِثْلَ مَا

الْقَصْرُ بَيْنَ خَبَرٍ وَمُبْتَدَا * يَكونُ بَيْن فاعِلٍ .....

كما أن القصر يكون في الجملة الاسمية؛ يكون كذلك في الجملة الفعلية، نحو: (إن يتبعون إلا الظن). ما قام إلا يوسف. إنما حضر طالب واحد. لا تصحب منافقًا بل اصحب مؤمنًا(طلبت منك حصر الصحبة في المؤمنين). خرجت متأنيًا لا مسرعًا(حصرت هيئة الخروج في التأني). إنما اشتريت الكتاب رغبةً في قراءته(حصرت سبب الشراء في رغبة القراءة).

.....* ..... وَمَا بَدَا

مِنْهُ فَمَعْلُومٌ وَقَدْ يُنَزَّلُ * مَنْزِلَةَ المَجْهُولِ أَوْ ذَا يُبْدَلُ

والذي ظهر من القصر؛ فَمَعْلُومٌ أي: باقٍ وجارٍ على ظاهره، حيث إنَّ الظاهر، أو الأصلَ في هذا الباب؛ أن المخاطبَ إن كان جاهلًا منكراً لحقيقة الخبر الملقَى عليه؛ استعملنا معه أقوى أساليب الحصر والقصر، وهو أسلوب النفيِ، والاستثناء، نحو: (وما من إله إلا الله الواحد القهار). والخطاب للمشركين. وإن كان غيرَ جاهل، ولكنه بتصرفاته يشبه المنكِر، خوطب بأسلوب حصرٍ أقلَّ درجةً، نحو: إنما هذا أخوك. هذا هو الأصل في استعمالات القصر.

وعلى خلافه؛ قد يُنزَّل الجاهلُ المنكِرُ مَنزِلة المقرِّ، لغرضٍ مّا. كأن تتألَّف قلبَه، فتقولُ لملحد جَلْد: (الذي خَلَقَ هذا الكونَ العظيم؛ اللهُ سبحانه وتعالى)، أو مشرك لا تخفى عليه دلائل الوحدانية: إلهك إله واحد.

وقد يُنزَّل المقر مَنزِلة الجاهل، نحو قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول)، والخطاب للصحابة.

الْبَابُ السَّادِسُ: الإِنْشَاءُ

الإنشاء قسيم الجملة المفيدة من حيث الصدقُ والكذب. فالجملة المفيدة: إما خبرية وإما إنشائية. فإن كانت تحتمل الصدق والكذب لذاتها؛ أي بصرف النظر عن القائل والمضمون؛ كقولك: رحمه الله؛ مضمونها: اللهم ارحمه سُمِّيت جملة خبرية. وإن كانت في ذاتها لا تحتمل الصدق والكذب؛ سميت إنشائية. ومعنى في ذاتها: أي بصرف النظر عن لازمها، كقولك اللهم ارحمه لازمها أسأل الله له الرحمة).

وسميت الخبريةُ خبريةً؛ لأنها إخبار عن شيء؛ له واقع(قام زيد). وسميت الإنشائيةُ إنشائيةً؛ لأنها إنشاءُ كلام؛ ليس له واقع(قم). وبالمختصر: كلُّ جملةٍ يصح وصفها بالصدق والكذب؛ فهي خبرية، وإلا فإنشائية.

والجملة الإنشائية عند البلاغيين؛ تنقسم إلى قسمين: طلبيةٍ، وغير طلبيةٍ. أما غير الطلبية؛ فمسائلها ليس فيها من لطائف المعاني ما يستحق البحث، كالجملةِ القَسَمية، وألفاظِ العقود، والتعجبِ، وأفعالِ المدحِ والذمِ والترجي، وغيرها.

أما الطلبية؛ فهي محل البحث والنظر، لما فيها من كثرة اللطائف، ودقيق المعاني، كما سنراه سويًّا، إن شاء الله تعالى.

ما معنى الإنشاءِ الطلبيِّ؟ هو طلب شيء لم يكن موجودًا عند طلبه.

مثال: قم. استدعينا أو طلبنا القيام، إذْ لم يكن القيام موجودًا وقت طلبه.

كذلك: لا تقم. طلبنا عدم القيام، إذ لم يكن القعود موجودًا وقت الطلب. فإن كان قاعدًا؛ وقلنا له لا تقم؛ طلبنا الاستمرار والدوام على عدم القيام، والاستمرار والدوام غير موجودين وقت الطلب، فيمتثلهما بالبقاء قاعدًا.

مثال آخر: أين زيد. طلبنا معرفة مكان زيد؛ إذ لم يكن مكانُه معروفًا وقت الطلب، أو وقت السؤال عنه. وأيضًا: ألا ليت الشبابَ يعود يومًا، أو ليت زيدًا معنا. طلبنا شيئًا لم يكن موجودًا وقت الطلب.ط.

ولنشرع الآن في شرح أبيات الباب:

يَسْتَدْعِيْ الانْشَاءُ إِذَا كَانَ طَلَبْ * مَا هُوَ غَيْرُ حَاصِلٍ .....

كما سبق؛ فالإنشاء إذا كان طلبيًّا؛ فهو الذي يستدعي ما هو غيرُ حاصل وقتَ الطلب.

فإذا كان المطلوب حاصلًا من قبل؛ وجب حمله على معنًى جديد، نحو: (يأيها النبي اتق الله)، أي ازددْ، ودُم على تقوى الله. ونحو: (يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله)، أي ازدادوا، واثبتوا على إيمانكم، وعند التأمل؛ يعتبر طلبًا لشيءٍ غيرِ موجود وقتَ الطلب، وهو الدوام والثباتَ على الإيمان، فيمتثلُ ذلك الطلب.

..... * ..... وَالْمُنْتَخَبْ

مِنهُ التَّمَنِّيْ وَلَهُ المَوْضُوعُ * لَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْوُقُوعُ

وَلَوْ وَهَلْ مِثْلُ لَعَلَّ الدَّاخِلَهْ * فِيهِ .....

وأساليب الإنشاء الطلبي متعددة، والمنتخب منها عند أهل المعاني؛ خمسة: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء. وثمةَ أساليبُ أخرى، لم يذكرها البيانيون؛ لأنها متولدة من بعض هذه الخمسة. كالحضِّ بهلَّا، والعرض بألَا؛ فإنها متولدة من الاستفهام، والدعاء من الأمر.

أما **التمني**؛ فهو طلب الشيء المحبوب، الذي **لا** يُرجَى حصولُه؛ (استحالةً، أو استبعادًا). ووضعت العرب له حرفًا واحدًا يدل عليه، وهو: ليت. مثال ما استُحيل حصولُه، نحو: (ألا ليت الشبابَ يعود يوماً). مثال ما استُبعد حصولُه(ممكنٌ غيرُ مطموعٍ فيه)، نحو: (يا ليت لنا مثلَ ما أوتي قارونُ). أما طلب الشيء المحبوب الذي يُرجَى حصولُه، فيُسمَّى تَرَجِّيًا، ووضعت له العرب أداتين، هما: عسى، ولعل.

مثال عسى: (عسى الله أن يأتي بالفتح). مثال لعل: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا). (لعلي أبلغ الأسباب). يُعتقد أنَّ الأمرَ مرجوٌّ يمكن حصوله.

هذا هو الأصل في أدوات التمنِّي، والترجِّي، ومعانِيْها. فإذا رأيت خلاف الأصل؛ فلأغراضٍ بلاغية لطيفة، وإليك الأمثلة:

١- (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)، (فهل إلى خروج من سبيل). كلاهما؛ خلاف الأصل. لأننا عَدَلنا عن (ليت)؛ إلى (هل)، و(هل)؛ ليست أداةَ تَمَنٍّ أصليةً. والغرض البلاغي لهذا العدول: إبراز المتمنَّى؛ في صورة الممكن المطموع فيه، مع استبعاده، وهي درجة بين الاستبعاد، والرجاء؛ اللتين مررنا بهما. ط.

٢- (فلو أن لنا كرةً فنكونَ من المؤمنين). خلاف الأصل. لأننا عدلنا عن (ليت)؛ إلى (لو)، و (لو)؛ ليست أداةَ تمنٍّ أصليةً. والغرض البلاغي لهذا العدول: إبراز المتمنَّى؛ في صورة النادر، مع امتناعه، وهي درجة بين الاستحالة، والاستبعاد؛ اللتين مررنا بهما. ط.

٣- (أسرب القطا هل من يعير جناحه * لعلي إلى من قد هَوِيتُ أَطيرُ). خلافُ الأصل. لأن الشاعر استعمل (لعلَّ)؛ والتي هي لما يُرجَى حصوله؛ استعملها فيما يَستحيلُ حصولُه. والأصل أن يستعمل (ليت). والغرض البلاغي من هذا الاستعمال: التعبير عن شدة الشوق، وقربِ وسهولة لقاء الأحبة. فأَبرزَ المتمنَّى المستحيلَ؛ في صورة المرجوّ. ط.

٤- (فيا ليت ما بيني وبين أحبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب). خلاف الأصل. لأن الشاعر، استعمل (ليت)؛ بدلاً من (لعل)؛ فيما هو مرجوٌّ.

.....* ..... وَالِاسْتِفْهَامُ وَالمَوْضُوعُ لَهْ

هَلْ هَمْزَةٌ مَنْ مَا وَأَيٌّ أَيْنَا * كَم كَيْفَ أَيَّانَ مَتَى وَأَنَّى

ومن جمل الإنشاء الطلبي؛ **الاستفهام**، وتعريفه: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل. وذلك بواحدة من أدواته الموضوعة له، وهي: هل، والهمزة، ومَن، وما، وأيٌّ، وأين، وكم، وكيف، وأيّانَ، ومتَى، وأنَّى.

فَهَلْ بِهَا يُطْلَبُ تَصْدِيقٌ وَمَا * هَمْزاً عَدَا تَصَوُّرٌ وَهْيَ هُمَا

المعنى: أن السائل إذا استخدم في الاستفهام أداة (هل)؛ فإنه يطلب تصديقًا. وإذا استخدم أداة الاستفهام (أ)؛ فإنها صالحة للتصوُّر والتصديق. وإذا استخدم بقية الأدوات، وهي: (مَن، وما، وأيٌّ، وأين، وكم، وكيف، وأيّان، ومتَى، وأنَّى). فإنه يطلب تصورًا. وسنعود للبيان بعد قليل. ثم قال:

وَقَدْ لِلاستِبْطَاءِ وَالتَّقْرِيرِ * وَغَيْرُ ذَا يَكُونُ وَالتَّحْقِيرِ

وقد يكون الاستفهام لمعانٍ أخرى غيرِ المعاني الحقيقيةِ للاستفهام. وذلك حين لا يَنتظِر السائلُ منك إجابة، لأنه يعلمها. وإنما يريد أو يوصِلَ إليك معنًى آخر، تَستفيدُه أنت مِن سياق الكلام، فيَستفهِمُ، وهو يُريد النفيَ، نحو: (هل تعلم له سميًّا)،أو النهيَ: (أتخشونهم)،أو الأمرَ: (فهل أنتم منتهون)، أو الإنكارَ: (أغيرَ الله تدعون)، أو يريد التقريرَ: (ألم نشرح لك صدرك)، أو التوبيخَ: (عَلامَ الخُلْفُ بينكمُ عَلامَ)، أو التعظيمَ: (مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)، أو يريد التحقيرَ: (مِنْ أيةِ الطُّرْق يأتيْ مثلَك الكَرَمُ)، أو الاستبطاءَ: (متى نصر الله)، أو الاستبعاد: (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول

مبين)،(ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلُّها) أو التعجُّبَ: (مالِ هذا الرسول يأكل الطعام)، أو يريد التمنِّيَ: (فهل لنا من شفعاء)، أو التشويقَ: (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم). أو غيرَ ذلك من المعاني. وسنعود إلى الاستفهام غير الحقيقي؛ في باب المجاز.

نعود إلى الاستفهام الحقيقي؛ فنقول:

أدوات الاستفهام من حيث ما يطلُبُه السائل؛ تنقسم إلى ثلاثةِ أقسام:

١- قسم يُطلَب به التصور تارة، والتصديق أخرى، وهو الهمزة (أ).

٢- وقسم يُطلَب به التصديق فقط، وهو (هل).

٣- وقسم يُطلَب به التصور فقط، وهي بقية أدوات الاستفهام.

وقبل ذكر الأمثلة على الأقسام الثلاثة؛ نتعرف على الفرق بين التصور، والتصديق، فنقول وبالله التوفيق:

المقصود بالتصور في الاستفهام: إدراك المستفهم عنه؛ إما بتعيينه، أو توضيحه، أو تحديده، أو تعريفه. **أما التصور** في غير الاستفهام؛ فهو تصور مسمَّيات الألفاظ في الذهن دون إثبات حكم لها. كتصور زيد، وكأسٍ، وكتاب؛ وبيت، ومسجد.

والمقصود بالتصديق في الاستفهام: إدراك حكم، أي حَدَثٌ اقتَرَنَ بزمن، نفيًا أو إثباتًا. وذلك بنسبة فعلٍ أو شبهِه؛ إلى فاعلٍ أو نائبه. ويسمَّى التصديقُ أيضًا: النسبةَ، والإسنادَ، والحكمَ، والإيقاعَ، والخبرَ.

وسُمِّي تصديقًا، لأن المخاطب سيتصور طرفي الإسناد ثم يجمع بينهما، ثم يوقع النسبة بينهما. سواء بالقبول، أو بالردِّ. فيُوقِعُ مثلاً نسبة السفر في جملة (سافر خالد)، وهذا هو التصديق، ولكن قد يقول للمتكلم كذبت، لم يسافر.

وإليك أمثلةً توضيحيةً، تُفرِّق بين التصديق والتصور:

١- أزيد ذهب أم خالد؟ زيد. أنت تعرف الحكم، وهو حصول الذهاب، ولكن تريد تحديد من الذي ذهب، فطلبت **تصورًا**.

٢-أسافرتَ؟ نعم سافرتُ. أنت لا تعرف الحكم، وهو وقوع السفر، فأعطيتك الحكم. وهذا **تصديق**، لأن فيه حكماً، أو نسبةً، أو خبرًا، أو إيقاعًا، أو إسنادًا.

٣-هل سافر زيد؟ نعم سافر. السائل طلب **تصديقًا**. أو حكمًا.

٤-من زيدٌ؟ هو ابن خالد. السائل طلب **تصورًا**، لأنه لا يعرف زيدًا.

٥-ما أنت؟ وارث. **تصوُّرٌ**، أنا أعرفك، لكن لا أعرف حقيقتَك.

وإلى بقية أدوات الاستفهام:

١-من فتح بلاد فارس؟ يُطلب بها تصورُ العقلاء. والمطلوب تعيين الفاتح.

٢-ما أنت؟ يطلب بها تصور حقيقة المسمَّى الواقع بعدَها. فتجيب بقولك مثلاً: أنا طالب. فإذا قلتَ أنا طالب؛ تصورتُ حقيقتك. ويعبر عن هذه الحقيقة بالماهية. فما وقع في جواب (ما) يسمَّى الماهية.

٣-ما النِّجاد؟ يطلب بها تصور المفرد، أي تعريفه. فتقول: حِمالة السَّيف. ما علم التفسير؟ ما الشقاء؟ ما السعادة؟

٤-متى تولى عمر الخلافة. يطلب بها تصور الزمان، أي: تعيينَه. ماضيًا كما في المثال، أو مستقبلًا، كقولك: متى تزورُنا؟

٥-(أيانَ يومُ القيامة). يُطلب بها تصور الزمان المستقبل؛ لأمر عظيم.

٦-كيف حالُك، كيف وصلتَ، يطلب بها تصور الحال، والهيئة.

٧-أين محمد، أين سافرت، ويطلب بها تصور المكان، وتحديدُه.

٨-(أنى يُحِيِْ هذه الله بعد موتها)، يطلب بها تصور الكيفية أحيانًا، وأحيانًا تصور مصدر الشيء الذي معك، نحو:(أنَّى لكِ هذا).

٩-(كم لبثتم)، يطلب بها تصور العدد بتحديده.

١٠-(أي الفريقين خير مقامًا)، يُطلبُ بها تَصوُّرُ أحد شيئين أضيفت إليه. سواءٌ أضيفت إلى عدد، أو حال، أو زمان، أو مكان، أو عاقل، أو غيره.

وبالتأمل في الأمثلة السابقة؛ يمكن استخلاص القواعد، أو الضوابط التالية:

١-كل جملة فعليةٍ، فهي تصديق.

٢-تدخل الهمزة على الجملة الاسمية، وتفيد تصورًا، وعلى الفعلية، وتفيد تصديقًا.

٣-تدخل (هل) على الجملة الاسمية والفعلية، ولا يُطلب بها إلا التصديق.

٤-بقية أدوات الاستفهام؛ تدخل على الجملتين، ولا تفيد إلا تصورًا.

قاعدة عامة: يقدم في السؤال والجواب في جميع أدوات الاستفهام؛ ما كان مسؤولًا عنه. مثال: أين ذهبت؟ المسؤول عنه: المكانُ. فلا يقال: ذهبتَ إلى أين؟ وفي الجواب يقال: إلى الجامعة. ولا يقال: ذهبت إلى الجامعة.

تمرينات: صُغ أسئلةً للجمل التالية:

- تعلم حصولَ فَوزٍ، ولا تَعلم الفائز.
- تعلم مجيء زيد، ولا تعلم هيئة مجيئه.
- لا تعلم حقيقة الإحسان.
- تعلم وقوع سفرٍ، ولا تعلم المسافرين.

- تعلم وجود ماء، ولا تعلم مكانه.

ومن جمل الإنشاء الطلبي؛ الأمر، وعرفه الناظم بقوله:

وَالأَمْرُ وَهْوَ طَلَبُ اسْتِعْلاَءِ * وَقَدْ لأَنْوَاعٍ يَكُونُ جَائِي

الأمر: قول؛ يتضمن طلب الفعل، على وجه الاستعلاء.

(و"قول" في التعريف؛ احترازٌ من مذهب المتكلمين؛ الذين جعلوا الأمر أمرين: لفظيًّا؛ ونفسيًّا، وهو القائمُ بالنفسِ، المجرَّدُ عن الصوتِ والحرفِ، بناءً على تعطيل صفة الكلام عن الله تعالى. ولا يكفي أن نقول "طلب الفعل ..." رغم صحتِها).

وصِيَغُه أربعٌ: فعل الأمر(أقم الصلاة)، والمضارع المجزوم بلام الأمر(لينفق ذو سعة)، واسم فعل الأمر(آمين)، والمصدر النائب عن فعل الأمر (صبرًا آل ياسر).

قال الحكمي في وسيلة الحصول:

أَرْبَعُ أَلْفَاظٍ بِهَا الأَمرُ دُرِي * إِفْعَلْ لِتَفْعَلْ اِسمُ فِعْلٍ مَصْدَرِ

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي الذي هو: (قول يتضمن طلب الفعل على وجه الاستعلاء)- يخرج إلى معانٍ أخرى، تستفاد من السياق، والقرينةِ، وهي كثيرةٌ، أَوْصَلَها علماءُ البلاغة إلى نحو عشرين معنًى.

فمن معاني الأمر: الدعاء إن كان المخاطب الله تعالى(رب أوزعني)، ومع الأعلى من الناس يسمَّى سؤالاً ورجاءً(اشفع لي عند فلان)، ومع المساوِي يُسمَّى التماساً(أعطني قلمك)، ومع الأدنى يسمَّى أمرًا وطلبًا، ومن معانيه أيضًا: الإرشاد (فاكتبوه)، الإباحة (وإذا حللتم)، التسوية (اصبروا أو لا

تصبروا)، الدوام (اهدنا الصراط المستقيم، يا أيها النبي اتق الله)، التأديب(كل مما يليك)، التعجيز (فأتوا بسورة)، التهديد (فمن شاء فليكفر)، وغيرها كثير.

وفي **أصول الفقه** ينظر إلى الأمر بصيغه الأربع؛ من زاوية أخرى. فيقال: الأصل في الأمر الوجوبُ والفوريةُ، إلا لصارف، ويحمل الأمر على تلك المعاني بالقرائن. والأصل عدم التكرار، ومخالفةُ الأمر موجبة للإثم...، إلى غير ذلك.

وَالنَّهْيُ وَهْوَ مِثْلُهُ بِلاَ بَدَا * وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ .....

النهي: قول؛ يتضمن طلب الكف، على وجه الاستعلاء، بصيغة مخصوصة. هي المضارع المقرون بلا الناهية.

وهو كالأمر في إفادة معانٍ أخرى؛ فيخرج عن النهي بمعناه الاصطلاحي بحَسَبِ السياق والقرينة، فيفيد: الدعاء إن كان يدعو الله (لا تؤاخذنا إن نسينا)، ومع الأعلى من الناس يسمَّى سؤالاً ورجاءً(لا تَلُمْني أيها الملك)، ومع المساوِي يُسمَّى التماساً(أعطني قلمك)، ومع الأدنى يسمَّى نهيًا، وطلب الكفِّ، ومن معاني النهي: الإرشاد (لا تسألوا عن أشياء)، والدوام (ولا تطع الكافرين)، التيئيس (لا تعتذروا قد كفرتم)، التهديد كقول الأب لابنه (لا تصاحب فلاناً)، وغيرها.

وقوله: (وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ)؛ أي إن الأنواع الأربعة المتقدمة وهي: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي؛ قد يقدَّر بعدها شرطٌ جازمٌ نحو: ليت لي مالًا أنفقْه، أي: إن أُرزَقْه أُنفِقْه، متى تزورُني أزرْك، أي: إن تَزُرْني أَزرْك، قمْ فإن تقمْ أقم، لا تشربْ فإن تشرب أشرب.

.....* .....وَالنِّدَا

آخر أنواع الإنشاء الطلبي؛ النداء، وتعريفه: طلب الإقبال بحرف نائبٍ مَنابَ أدعو.

فقولُك يا سعدُ؛ أصلُه: أدعو سعدًا.

وأدوات النداء كثيرة. مِن أشهرها: الهمزة، وأيْ، ويا، وأيا، و وا.

والهمزة وأي؛ لنداء القريب، وغيرهما للبعيد. وقد ينزل البعيد منزلة القريب، والعكس؛ لأغراض بلاغية.

وقد يخرج النداء عن معناه، إلى معانٍ أخرى، ولذلك قال الناظم:

وَقَدْ لِلاخْتِصَاصِ وَالإِغْرَاءِ * تَجِيءُ.....

فمن تلك المعاني؛ الاختصاص، نحو: (....ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا(يا)أيُّها الثلاثةُ..)، ومما حكاه سيبويه عن العرب؛ قولُهم: (اللهم اغفر لنا(يا)أيَّتُها العِصابةُ)، وفي الحديث الصحيح: (نحن(يا)معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ). ونحو قولك: نحن(يا)المسلمين أَسخَى مَن يبذُلُ المالَ. وعلامةُ كون النداء للاختصاص؛ أنه لا بد أن يسبِقَه شيء، فلا يكون أولَ الكلام، وأن يعرف بأل أو يُضاف إلى معرَّفٍ بها.

ومن معانيها أيضًا غيرِ النداء: الزجر، والتحسر، والإغراء. وإليك الأمثلة:

١-الزجْر، نحو:

يا قلبُ ويحَك ما سَمِعتَ لناصحِ

٢-التحسُّر، نحو: (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا)، ونحو:

أيا قبرَ معْنٍ كيف وارَيتَ جُودَه

٣-الإغراء، نحو: يا مظلومُ، تكلمْ. يا طالبَ العلم، اجتهد.

.....* .....ثَمَّ مَوْقِعَ الإِنْشاءِ

قَدْ يَقَعُ الْخَبَرُ لِلتَّفَاؤُلِ * وَالْحِرْصُ أَوْ بِعَكْسِ ذا تأَمَّلِ

وفي خاتمة الإنشاء؛ أفاد أنَّ من الخروج عن الظاهر؛ أن تأتي بالخبر موضع الإنشاء، أو بالعكس. وذلك لأغراض بلاغية لطيفة. وإليك الأمثلة:

أولاً: الإتيان بالخبـرِ في موضع الإنشاء(وتخرج عن اقتضائها الصدقَ، والكذبَ. وسيأتي مزيد إيضاح في باب الوصل والفصل)**:**

١-تخاطِب مَن هو أعلى منك قدرًا؛ فتقول متأدبًا-لا بصيغة الاستفهام-: تعطيني القلم، ومرادك: أعطني. وهذا خروج عن الظاهر.

٢- تدعو لميت؛ فتقول رجاءً وتفاؤلًا: (فلان؛ رحمه الله)، تقصد: (اللهم ارحمه). وكذا لَعنُ مَن تيقنت موتَه على الكفر، بقولك: (فلان؛ لعنه الله)، بمعنى: اللهم العنه.

بخلاف: (فلان؛ المرحوم، وفلان؛ الملعون)، فتركُ هذه أولى، إذ كون المسند اسمًا يفيد الثبات والدوام، بخلاف كونه فعلًا يفيد الطُّرُوَّ والتجدُّد، وهذا أليق، وأوفق، وأنسب، وأقرب في مقام الدعاء، والتفاؤل.

٣- حمل المخاطب على تصديق الطلبِ، وتلبيته: كأن تقول لصديق: ستكرمني غدًا. ومنه قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن)، وكذا: (يتربصن بأنفسهن).

ثانيًا: الإتيان بالإنشاء في موضع الخبر:

١-قوله تعالى: (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)، والنكتة البلاغية في الخروج عن الظاهر: العناية بأمر الصلاة.

٢-وقوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام: (قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون)، والفائدة البلاغية في الخروج عن الظاهر: الحذر من موازاة شهادة قومه الكفرة؛ بشهادة الله تعالى؛ وأيضًا تهاونًا بهم، وتقليلًا من شأن شهادتهم، فوَجَّه إليهم الأمرَ بالشهادة.

٣- قوله تعالى حكاية عن قول الكافرين للمؤمنين : (اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم)، مبالغة في الالتزام.

الْبَابُ السَّابِعُ: الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ

إِنْ نُزِّلَتْ تَالِيَةٌ مِنْ ثَانِيَهْ * كَنَفْسِهَا أَوْ نُزِّلَتْ كَالْعَارِيَهْ

فافْصِلِ وَإِنْ تَوَسُّطٌ فالْوَصْلُ * بِجَامِعٍ أَرْجَحُ ثُمَّ الْفَصْلُ

بِمَا لِحَالٍ أَصلُهَا قَدْ سَلِمَا * أَصْلٌ وَإِنْ مُرَجِّحٌ تَحَتَّمَا

الوصل عند علماء المعاني: عطفُ جملةٍ على أخرى بالواو. والفصل عندهم: ترك هذا العطف. ولكل من الوصل والفصل مواضعُ خاصة.

والمقصودُ بالجملة؛ الجملةُ التامةُ المعنى، التي تصلُحُ أن تستقِلَّ بنفسها، وتفيدُ معنًى تامًّا، صحيحًا.

أولًا: مواضع الفصل:

تأمل الأمثلة التالية:

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ * هو أولٌ وهْيَ المكانُ الثاني

هل بين الجملين اتحاد، في الفائدة، وتآلف في المعنى؟ نعم. ما هو؟ كون الجملة الثانية توكيدًا للأولى. مثال آخر:

الناسُ للناسِ مِن بَدْوٍ وحاضِرَةٍ * بعضٌ لبعضٍ وإن لم يَشعُروا خَدَمُ

هل بين الجملتين اتحادٌ في الخبر والفائدة، وتآلفٌ في المعنى؟ نعم. ما هو؟ كون الثانية بيانًا، وتوضيحًا لمعنى الأولى. مثال آخر:

قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾

هل بين الجملتين اتحاد، وتآلف في المعنى؟ نعم. ما هو؟ كون الثانية بعضًا من الأولى.

لا حظ في الأمثلة الثلاثة؛ أن الجملتين مفصولتان عن بعضهما، ولم نصل بينهما بالواو. ولا سِرَّ لهذا الفصل؛ إلا ما وقع بينهما من تمام الانسجام، واتحاد المعنى.

فلنقل إذًا: إن بين الجملتين؛ **كمالَ اتصال.** ولْنَضَعْ القاعدة التالية:

متى كان بين الجملتين اتحادٌ تامٌّ، بأن كانت الثانية توكيدًا، أو بيانًا، أو بدلًا(بأنواعه سوى الغلط)**؛ متى كان الأمر كذلك؛ كان بينهما كمالُ اتصال، وحينئذ يجب فصل الجملتين.**(فالشيء لا يعطف على نفسه، ولا الجزءُ على كلِّه).

وتأمل الأمثلة التالية:

لا تحسَبِ المجدَ تمرًا أنت آكِلُه * لن تبلُغَ المجدَ حتى تَلعَقَ الصَّبِرا

هل بين الجملتين تباين؟ نعم. ما هو؟ الأولى إنشائية، والثانية خبرية. مثال آخر:

وإنما المرءُ بأَصغَرَيهِ * كلُّ امرئٍ رهنٌ بما لَديهِ

هل بين الجملتين تباين؟ نعم. ما هو؟ لا علاقة بين الحِكمتين، ولا رابطة.

لا حظ المثالين؛ ستجد أن الجملتين مفصولتان عن بعضهما، ولم نصل بينهما بالواو. ولا سِرَّ لهذا الفصل؛ إلا ما وقع بينهما من تمام الانقطاع، وشدةِ التباعد.

فلنقل إذًا: إن بين الجملتين: **كمالَ انقطاع.** ولْنَضَعْ القاعدة التالية:

متى كان بين الجملتين تباينٌ تامٌّ، بأن اختلفت إحدى الجملتين عن الأخرى؛ خبرًا وإنشاءً، أو بأنْ لم يكن بينهما مناسبةٌ ما؛ متى كان الأمر كذلك؛ كان بينهما كمالُ انقطاع، وحينئذ يجب فصل الجملتين. (لأن الواو يؤتى بها عند اشتراك حكم، أو ربط المعاني المتقاربة).

تأمل الأمثلة التالية:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾. مثال آخر:

ليس الحجابُ بمُقْصٍ عنك لِيْ أَملًا * إن السماءَ تُرجَّى حينَ تَحتَجِبُ

هل بين الجملتين في المثالين؛ نوعٌ من الاتصال؟ نعم. ما هو؟ الجملة الثانية تصلح أن تكون جوابًا لسؤال مقدَّر، ففي الآية يُقدَّرُ هكذا: لما رأوه – وقد أوجس منهم خيفة – ماذا قالوا له؟ وفي البيت يقدر هكذا: كيف ترجو شيئًا ممن يَحتجِبُ عنك؟

والجواب؛ لا شك في قوة اتصاله بالسؤال، فكان يشبه **كمال الاتصال**. وهذا هو سرُّ الفصل بين الجملتين. إذًا نستطيع أن نضع قاعدة، فنقول:

متى كانت الجملة الثانية صالحة لأن تكون جوابًا عن سؤالٍ يُستنبَط من الجملة الأولى؛ متى كان الأمر كذلك؛ كان بينهما شبهُ كمالِ اتصال، وحينئذ يجب فصل الجملتين.

وخلاصة أحكام الفصل: يجب الفصل في ثلاث حالات: * كمال الاتصال، * كمال الانفصال، * شبه كمال الاتصال.

ويحصل كمال الاتصال: بأن تكون الثانية توكيدًا أو بيانًا، أو بدلًا.

ويحصل كمال الانفصال: بتخالف الجملتين؛ خبرًا، وإنشاءً، أو بانعدام المناسبة.

ويحصل شبه كمال الاتصال: بصلاحية الثانية جوابًا لسؤال مستوحًى من الأولى.

ملاحظة: إذا أدى الفصل إلى لبس؛ وجب الوصل. كما في لا، وبارك الله فيك. وكذا في كل خبر وإنشاء؛ أَوهَم الفصلُ بينهما؛ تعيَّنَ الوصلُ. وسيأتي في مواضع الوصل.

ثانيًا: مواضع الوصل:

اقرأ الأمثلة التالية:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾. مثال آخر:

وحُبُّ العيش أَعبدَ كلَّ حُرٍّ * وعَلَّمَ سَابِغًا أكلَ الـمُرار

تأمل الجملتين في الآية(يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ)؛ ستجد أن جملة (يسومونكم سوء العذاب) لها محل من الإعراب، فهي في محل نصب حال، ولما أُريدَ إشراكُ الجملة الثانية لها في الحكم؛ عُطفت عليها.

وتأمل الجملتين(أَعبدَ كلَّ حرٍّ وعَلَّمَ سابغًا)؛ ستجد أن الأولى لها محل من الإعراب، وهو أنها خبر لمبتدأ، ولما أراد الشاعر إشراك الجملة الثانية لها في الحكم؛ عَطَفها عليها.

إذًا فلْنَضَعْ هذه القاعدة: **كل جملتين اشتركتا في الحكم الإعرابي؛ وجب الوصل بينهما.**

اقرأ قولَ أبي الطيب:

يُشمِّرُ للُّجِّ عن ساقِه * ويَغمُرُه الموجُ في الساحِلِ

وقولَ ابنِ برد:

وأَدْنِ إلى القُربَى المقرَّبَ نَفسَه * ولا تُشهِدِ الشُّورَى امْرأً غيرَ كاتِمِ

تأمل الجملتين(يُشمِّر....)، و(يَغمُره...)، ستجدهما خبريتين، وبينهما تناسب في المعنى (أي: المسند إليه واحد فيهما، وبين المسند في الجملتين؛ إما تماثُلٌ أو تضادٌّ). وليس ثَمَّ ما يدعو إلى الفصل.

وتأمل الجملتين(وأَدن....)، و(لا تُشهِد....)، ستجدهما إنشائيتين، وبينهما تناسب في المعنى. وليس ثمَّةَ ما يقتضي الفصل.

إذًا فلْنَضَعْ هذه القاعدة: **كل جملتين حصل بينهما تناسب؛ وليس ثم ما يدعو إلى الفصل؛ وجب وصلهما.**

تأمل الجواب في السؤالين التاليين:

هل تريدُ ماءً؟ لا، وبارك الله فيك.

هل شَفِيَ أخوك من مرضه؟ لا، ولطف الله به.

ستجد أن مقتضِيَ الفصلِ موجودٌ، وهو كون (لا) قائمةً مقام جملة خبرية، أي: لا أريد ماءً، و: لا لم يَشْفَ بعدُ. وكونُ (بارك الله فيك، و(لطف الله به) جملتين إنشائيتين (معنًى). وهذا الاختلاف كما تقدم في مواضع الفصل؛ **يوجب الفصل**. لكن لما كان الفصلُ موهمًا خلافَ المقصود؛ وجبَ الوصلُ.

إذًا فلْنَضَعْ هذه القاعدةَ: **متى اختلفت الجملتان خبرًا وإنشاءً، وكان الفصل موهمًا؛ وجب الوصل.**

وخلاصة أحكام الوصل: يجب الوصل في ثلاث حالات: * إذا أردت التشريك في الحكم الإعرابي. * إذا اتفقتا؛ كل منهما خبرٌ، أو إنشاءٌ، وكان بينهما مناسبةٌ، ولا موجِبَ للفصل. * وإذا اختلفتا؛ إحداهما خبرٌ، والأخرى إنشاءٌ، والفصل موهم.

وباختصار أكثر: متى انتفت موجبات الفصل، أو كان الفصلُ موهمًا؛ وجب الوصل.

لطفية: إذا تكرر النفي في نحو: (لا لا جَزاكَ اللهُ خيرًا)؛ فإنه يفيد الإثباتَ، بناءً على القاعدة اللغوية الأصولية: (نفيُ النفيِ إثباتٌ)، وهذه بُنيتْ على القاعدةِ اللغويةِ الأصوليةِ: (التأسيسُ أولى مِن التأكيد)، المتفرعةِ من القاعدةِ اللغويةِ الأصوليةِ الفقهيةِ: (إعمالُ الكلام أولى مِن إهمالِه). وبناءً على ذلك كلِّه؛ لا إيهامَ، فلا داعيَ للوَصْل.

تمرينات على الوصل والفصل:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ . وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

إذا أريد الاشتراك في الإعراب؛ وجب الوصل، وإذا أريد بيان نوع العذاب؛ وجب الفصل، وتكون عطف بيان.

٢- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾

جملة (فتحت أبوابها) جواب لسؤال مقدر، مستوحًى من جملة (حتى إذا جاؤوها). أي: ما الذي حصل حين جاؤوها؟ فوجب الفصل. وكذا يقال في جواب الشرط دائمًا.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾

في الآية تقدير، أي: (وسَعِدُوا؛ فُتحت أبوابها). فيكون المراد إشراك جملة (سعدوا...) في الحكم الإعرابي، أي: وحتى إذا سعدوا بما رأوا. وتكون جملة (فتحت أبوابها) جواب شرط كما في الآية السابقة. ويحتمل أن تكون الواو حالية داخلة على الفعل الماضي، أي: وكانت الأبواب مفتوحة. ولكن يضعف بعدم ذكر جواب الشرط.

٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

المقصود بالفرقان؛ المعجزات الفارقة، وبضياءً؛ التوراة. ونُصبت ضياءً بالفعل (وآتيناه) المقدر، وعليه يكون المراد الإشراك في الحكم الإعرابي فيتعين الوصل.

وإذا قلنا إن الفرقان هو التوراة، و(ضياءً) حالٌ منه، والواو زائدةٌ؛ فلا تعاطف بين جملتين، ومن ثَمَّ؛ لا يدخل معنا في باب الوصل والفصل.

الْبَابُ الثَّامِنُ: الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ

تَوْفِيَةُ الْمُرَادِ بِالنَّاقِصِ مِنْ * لَفْظٍ لَهُ الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ إِنْ
بِزَائِدٍ عَنْهُ وَضَرْبُ الأَوَّلِ * قَصْرٌ وَحَذْفُ جُمْلَةٍ أَوْ جُمَلِ
أَوْ جُزْءِ جُمْلَةٍ وَمَا يَدُلُّ * عَلَيْهِ أَنْوَاعٌ وَمِنْهَا الْعَقْلُ
وَجَاءَ لِلتَوشِيعِ بِالتَّفْصِيلِ * ثَانٍ وَالاعْتِرَاضُ وَالتَذْيِيلِ ٧٤

هذا هو الباب الأخير في علم المعاني: الإيجاز والإطناب، والمساواة.

أولًا: المساواة:

تأمل المثالين التاليين:

قال الله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله).

وقولَ الشاعر:

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيْك بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ

إذا تأملت؛ ستجد أن الألفاظ في المثالين؛ جاءت على قدر المعاني، ولو زِدْت؛ لأملَلتَ السامعَ، ولو حاولت الاختصار لأخلَلتَ. فهذه هي المساواة، وهي بهذا الاعتبار فنٌّ من القول عزيزُ المنال.

إذًا المساواة هي: تكافؤ المعاني والألفاظ.

واعلم أن المساواة ثلاثة أنواع:

الأول: مساواة مع الاختصار، وهي تأدية المعنى بأقل ما يكون من الألفاظ والحروف، نحو: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله). وسيأتي الفرق بينه وبين الإيجاز.

الثاني: مساواة بدون اختصار، ويُسمَّى (المتعارف)، وهو تأدية المقصود من غير طلب اختصار، نحو: (حور مقصورات في الخيام). الجواهر، ص: ١٨٨.

الثالث: مساواة متعارف الأوساط، الذين هم بين البلغاء والبسطاء. فهذه المساواة؛ هي الأصل في الكلام الذي يقاس عليه غيره. أي يقاس عليه الإيجاز والإطناب.

وكلُّ ما كان في كلام الله تعالى من المساواة؛ فهو من الأول، والثاني، وقُل كذلك في كلام رسول الله ﷺ.

ثانيًا: الإيجاز:

تأمل الأمثلة التالية:

قال الله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)، (ألا له الخلق والأمر). أي الملك والتصرف. ولم يَبقَ بعدَهما شيءٌ. وقال ﷺ: (لا ضررَ، ولا ضِرارَ).

إذا تأملت؛ ستجد أن فيها إيجازًا مبنيًّا على قِلَّةِ وقِصَرِ ألفاظٍ، وحروفٍ – وبدون تقدير محذوف – متضمَّنةً معانيَ كثيرةً.

وتأمل الأمثلة التالية:

قال الله تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار)، (وأتممناها بعشر)،(ولم أكُ بغيًّا)، (وجاهِدوا في الله حق جهاده)، (ولئن سألتهم من خلق ... ليقولن الله)، (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين...).

ستجد أن في الآياتِ إيجازًا، لكنَّه إيجازٌ مبنيٌّ على قلة الألفاظ بحذف بعضها، دون قصدِ كثرة المعاني. ودل على الحذف قرينة.

إذًا نستطيع أن نعرِّف **الإيجاز** بأنه: **تمام المعنى؛ مع قلة اللفظ، بشرط الإبانة والإفصاح.**

ونستطيع أن نجعل الإيجاز نوعين: **إيجازَ قِصَرٍ، وإيجازَ حذفٍ.**

أما إيجازُ القِصَر: فهو تضمين العباراتِ القليلةِ القصيرةِ؛ المعانيَ الكثيرة، من غير حذف.

وأما إيجازُ الحذف: فهو ما تضمَّن العباراتِ القليلةَ، لكن بسبب حذفٍ جرى على بعضها، ودلت عليه القرينة(وهي شرط، وبدونها يكون الإيجاز رديئًا، والقرينة إما عقلية، وإما شرعية(حرمت عليكم الميتة)، وإما لغوية...).

ولا شك أن إيجاز القِصَر؛ هو مَطمَحُ البُلغاء، وهو الغاية من البلاغة، حتى إن بعضَ العلماءِ؛ لما سئل عن البلاغةَ قال: هي الإيجاز. ولكن قلَّ مَن يَبلُغُ فيه مُناهُ.

ونحتاج كثيرًا إلى إيجاز القصر، وكذا الحذفُ؛ في صياغةِ أو نقدِ القواعدِ، والضوابطِ، والمتونِ العلميةِ، ومصطلحاتِ العلومِ، والفنونِ، والتعريفاتِ عمومًا، والحِكَم، والأمثالِ.

سؤال: هل يجتمع الإيجازان في موضع واحد؟ ومثِّلْ إن وجد.

جواب: نعم. ومثاله قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات).

ثالثًا: الإطناب:

تأمل الأمثلة التالية:

١-قال الله تعالى: (تنزل الملائكة والروح فيها).

٢-وقال سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام: (رب اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات).

٣-وقال عز وجل: (أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين).

٤-وقال عَزَّ مِن قائلٍ: (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهو نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحًى وهم يلعبون).

٥-وقال حسان رضي الله عنه:

لوَ انَّ الباخلين -وأنت منهم- * رأَوك تعلَّموا مِنك المِطالا

٦-قال الله جل ثناؤه: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت).

٧- قال الحطيئة:

تزورُ فتًى يُعطِي على الحمْدِ مالَه * ومَن يُعطِ أثمانَ المحامِدِ يُحمَدِ

٨-وقال ابن نُباتةَ السَّعدِيُّ:

لم يُبقِ جودُك لي شيئًا أؤمِّلُه * تَركتَني أَصحَبُ الدنيا بِلا أَمَلِ

٩-وقال عنترة:

يُخبِرْك مَن شَهِدَ الوقيعةَ أَنني * أَغشَى الوَغَى وأَعِفُّ عندَ المغنَمِ

١٠- العلم علمان؛ علم الأبدان، وعلم الأديان.

تأمل المثال الأول: فيه إطناب بعطف خاصٍّ على عامٍّ. وذلك للتنويه بشأن خاص، وفي الآية تنويه بشأن أحد رؤساء الملائكة العظام، وما له من كرامة عند الله.

وتأمل المثال الثاني: فيه إطناب بعطف عامٍّ على خاصٍّ. وذلك لإفادة الشمولِ مع العناية بالخاص. حيث ذُكِرَ مرتينِ؛ مرةً وحدَه، ومرةً مندرجًا تحت العام.

تأمل المثال الثالث: فيه إطناب بإيضاح بعد إبهام.

تأمل المثال الرابع: فيه إطناب بالتكرار، لتقرير المعنى في نفس السامع.

تأمل المثال الخامس: فيه إطناب بالاعتراض، للإسراع إلى ذم المخاطب، وقد يكون الإسراع إلى أمر آخر، كالتنزيه، نحو: إن الله – تبارك وتعالى- لطيف بعباده، أو الإسراع إلى الدعاء نحو: إني -وقاك الله- مريض.

تأمل المثال السادس: انتهت الآية الأولى: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) مقررِّةً أن الموت لكل البشر، ثم جاءت الآية التالية؛ مؤكدةً لها بكلامٍ مستقلٍّ، وهذا يسميه أهل المعاني: إطناب بالتذييل. ولما كان صالحًا لأن يكون مَـثلًا سائِرًا: (كل نفس ذائقة الموت). سمِّيَ: تذييلًا جاريًا مَجرَى المثل.

ومثله يقال في المثال السابع: (ومَن يُعطِ أثمانَ المحامِد يُحمَدِ).

أما المثال الثامن: (تركتني أَصحَبُ الدنيا بِلا أَمَلِ)؛ ففيه تذييلٌ أيضًا، أيْ كلامٌ مؤكِّدٌ لما قبله، ولكن غيرُ مستقلٍّ، ولا يمكن أن يُفهَم إلا بما قبلَه، ولا يصلح أن يكون مثلًا سائرًا. وهذا يسمِّيه أهلُ المعاني: تذييلًا غيرَ جارٍ مَجرَى المثل.

تأمل المثال التاسع: أطنب عنترة احتراسًا حين قال: (وأَعِفُّ عند المغنم)، أي: لا تظنُّوا غِشْيانيَ الحروبَ بَحْثًا عن المغانم.

وأخيرًا؛ تأمل المثال العاشر، ففيه إطناب بالتوشيع، وهو أن يؤتَى في آخرِ الكلامِ بمثنًّى، يفسَّر بمفردين بعده، يُزِيلان الخفاء. والتوشيع لغةً: تفريق الشيء الملفوف على بعضه.

تكرر معنا في الأمثلة السابقة لفظُ (أطنبَ)، و(إطنابٍ)؛ فما هو الإطنابُ، وبماذا يحصُلُ.

الإطنابُ: زيادةٌ في اللفظِ على المعنى؛ لفائدةٍ.

ويحصل الإطناب بصيغ كثيرة، نكتفي منها بما يلي:

(ا) ذكر الخاص بعد العام. لمزيَّة فيه.

(ب) ذكر العام بعد الخاص. للتعميم والعناية بالخاص.

(ج) الإيضاح بعد الإبهام. لتقرير المعنى.

(د) التَّكرار. لتمكين المعنى، أو التحسر، أو طولِ الفصل.

(هـ) الاعتراض بين جملتين متصلتين معنًى، بكلام لا محل له من الإعراب؛ للإسراع إلى تنزيهٍ، أو ذمٍّ، أو دعاءٍ.

(و) التذييل. وهو التعقيب بجملة على جملة؛ تَشمَل معناها وتؤكِّدُها. والتذييل قسمان: جارٍ مَجرَى المثل؛ إن استقلَّ بمعناه، واستغَنَى عما قبلَه. وقسم: غير جارٍ مَجرَى المثل؛ إن لم يَستقلَّ، ولم يَستغنِ

(ز) الاحتراس. ويكون حينما يأتي المتكلم بمعنًى يمكن أن يَرِد عليه فيه لوم، فيفطِنُ لذلك، فيأتيْ بما يُخلِّصُه منه.

(ح) التوشيع. ويكون بالإتيان بمثنًّى في آخر الجملة، يفسر بمفردين بعده، ليرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما ذلك المثنَّى؛ من الخفاء المستوحش.

عِلْمُ البيانِ

والبيان لغةً: الكشفُ والإيضاحُ، أما اصطلاحًا؛ فقدْ عرَّفَه الناظم بقوله:

عِلْمُ الْبَيَانِ مَا بِهِ يُعَرَّفُ * إِيرَادُ مَا طُرُقُه تَخْتَلفُ

فِي كَوْنِهَا وَاضِحَةَ الدِّلالَهْ * فِيما بِهِ لاَزِمُ مَا وُضِعْ لَهْ

فاصطلاحًا هو: قواعدُ؛ يعرف بها تأديةُ المعنى الواحدِ بكلام مطابق لمقتضى الحال، بطرق مختلفة في وضوح الدَّلالة.

وقلنا: بكلام مطابق لمقتضى الحال؛ لمراعاة أسس الكلام البليغ.

وقلنا في وضوح الدَّلالة؛ لنُخرجَ وضوحَ اللفظ والعبارة، لأن وضوحَهما؛ مَحَلُّه فصاحةُ الكلامِ، وهو من أسس البلاغة أيضًا.

مثال اختلاف الطرق:

سعد كالبحر. أديت المعنى الذي أريد إيصاله للمستمع بالتشبيه.

سعد بحر. أديت المعنى الذي أريد إيصاله للمستمع بالاستعارة، وهو أبلغ من التشبيه.

سعد كثير الرماد. أديت المعنى بالكناية، وهي أقل وضوحًا من التشبيه، والاستعارة.

ويريد الناظم من قوله: (فيما به لازم ما وضع له). أن المعنى المرادَ إيصالُه للسامع؛ في علم البيان لا يؤخذ من اللفظ مباشرة، وإنما من مضمون اللفظ، ولازمِه، كما في الأمثلة الثلاثة السابقةِ. فالتراكيب في علم البيانِ تدل على المعاني دِلالةَ تضمُّن، أو التزامٍ، لا دِلالةَ تطابق. إذ لو دلت على المعنى بالتطابق نحو (زيدٌ كريم)، لم تكن من البيان في شيء. لكن (زيد بحر) دل على الكرم بما تضمنه البحر، وبما لزم من معناه، فالبحر يتضمن صفة السيولة والكثرة، ويلزم منهما الفيض، أي العطاء، وكلاهما يدل عليهما الكرم تطابقًا.

فائدة: اللفظ في لغة العرب له واحدة من ثلاثة دلالة:

الأولى: دلالة مطابقة: وذلك حين يدل اللفظ على تمام المعنى الذي وضع لأجله. كدلالة لفظ البقرة على تمام معناها، فيدخل فيها جميع أنواعها من ذكور وإناث وفصائل. تطبيق: قلت لك: اذبح بقرة، فأي بقرة ذبحت فأنت مصيب، ولو ذكرًا، ولو جاموسًا، صفراء بيضاء سوداء، فالكل داخل في دلالة كلمة بقرة.

وتُسَمَّى الدَّلالةُ حينئذ: تطابقية، لتطابق اللفظ والمعنى. وهي أقوى الدلالات، لأن اللفظ؛ وضع ليدل على تمام معناه.

الثانية: دلالة تضمن: وذلك حين يدل اللفظ على جزء معناه. وضابط التضمن؛ أن يكون الجزء؛ جزءًا من تركيبة الكل، لا ينفك عنه. كدلالة البيت على مرافقه. تطبيق: قلت لك اشتر لي بيتًا، وعند دخوله لم أجد مطبخًا، فلي الفسخ. **وتُسمَّى** هذه الدَّلالةُ: تَضَمُّنِيةً. وهي فرع عن الدلالة التطابقية، لأن اللفظ بتمام معناه؛ تضمن جزء المعنى.

الثالثة: دَلالةُ التزام:

بأن يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له، أي ليس جزءًا من الكل. كدلالة لفظ المحبرة على الحبر، وكدلالة السيف؛ على غِمده. فلو طلب منك أحد أن تأتيه بمِحبَرة **(الدواة أو قنينة الحبر)** ولم يذكر لك الحبر أو المداد. فجئته بالمِحبَرة

وحدَها؛ لعاب عليك ذلك. **وتُسمَّى** هذه الدلالة: الالتزامية. وهي فرع أيضًا عن الدلالة التطابقية لأن لفظ المحبرة لزم منه ذلك المعنى الخارج عنه، وهو الحبر.

لاحظ أن تعريف البيان اصطلاحًا؛ قد تضمن تعريفَ البيان؛ علمًا، وفنًّا. فمجرد معرفة قواعده؛ علم بَحْت، ولكنْ معرفةُ كيف يؤدَّى المعنى بطرقٍ متعددةٍ؛ فهذا فنٌّ، وإبداع.

سؤال ما الفرق بين علم المعاني وعلم البيان؟

إذا عرفنا النسبة(العَلاقة) بينهما؛ عرفنا الفرق. فالنسبة بينهما تداخل. وهو العمومٌ، والخصوصٌ المطلقٌ. أي إن أحدَهما أعم من الآخر. فكل بيانيٍّ؛ بلاغيٌّ(أي عالم بالمعاني)، وليس العكس. فأيُّهما أعمُّ؟ البيانيُّ.

مثال يبين الفرق بين البيان والمعاني: لو أردنا الحديث عن كرم سعد:

فالعالم بالمعاني؛ سيخبرك بأن سعدًا كريم، مراعيًا في ذلك الاختصار، والوضوح، وسلامة التركيب من التعقيد، ومراعيًا فصاحةَ اللفظ، ومطابقتَه لما يقتضيه مقام الإخبار، فيقول: سعد كريم. والبيانيُّ سيُخبرك عن كرم سعد فيقول: **كالبحر يَقذِفُ للقريب جواهراً * جُوداً ويَبعَثُ للبعيد سحائبا.**

فراعى شروط البلاغة في الكلام وزاد عليه جمالاً في المعنى، وأدّاه لك بطريقة أكثر تأثيرًا. وهذا هو البيان.

ولن يكون الكلام مؤثِّـرًا – مهما أبدع فيه قائلُه – إلا باستخدام واحد من ثلاثة أساليب: هي: التشبيهُ، و المجازُ، و الكنايةُ. ولذلك قال الناظم:

إِمَّا مَجَازٌ مِنْهُ وَاستِعَارَةُ * تُنْبِي عَنِ التَّشْبِيهِ أَوْ كِنَايَةُ

مقدمة بين يدي أساليب البيان الثلاثة:

لا تستطيع ذاكرة الإنسان أن تستوعبَ وتحفظ كُلَّ مفردات اللّغة، ولا تستطيع أن تستذكر دوامًا كُلَّ ما تحتاج إليه من المفردات والتعبيراتِ اللُّغوية، لتُقدِّمَها إلى اللّسان لينطق بها، أو إلى القلم ليرسُمها.

لكِنَّ الإِنسانَ؛ قد آتاهُ الله ﷻ قُدْرَةً عَلى التعبير عمّا يريد من معانٍ ذهنيّة، ومَشاعرَ نفْسِيّةٍ بطُرُقٍ أُخْرى، غيرِ طُرقِ الأوضاع اللّغويّة الّتي وُضعت لها المفردات التي تدُلَّ دِلالةً مباشِرةً عليها. فَهُوَ يحتال للتعبير عمّا يريد التعبيرَ عنه من خلال ما تُسعِفُه به ذاكرتُه من مفرداتٍ، وعباراتٍ، بواحدٍ فأكثرَ من الطُّرُق التالية:

الطريق الأول: طريق **التَّشْبيه** والتمثيل، واستخدام النظير ليَدُلَّ على نظيره.

الطريق الثاني: طريق اللّوازم الفكريّة الّتي تُدْرِكُها الأذهان لدَى إدْراكِ أشياء تستدعِيها باللُّزُوم الذّهني، فيَذْكُرُ الألفاظ الدالّة على هذه الأشياء مشيرًا بِهَا إلى لوازمها الذهنيّة، كطول الثوب الّذي يستَدْعي باللُّزُوم الذّهْنِي طُولَ لابسه، وكَرُؤْيَةِ النجوم رؤيَةً واضِحةً الَّتِي تَسْتدعي باللُّزوم الذهني كونَ هذه الرُّؤْيَة حاصلةً في اللّيل، وهذا ما يُسمَّى **بالكناية**.

الطريق الثالث: طَرِيقُ ذكر أشياء يُنَبِّـه ذِكْرُهَا عَلى أشباهها، أو أضدادها، أو ما يخالفها، فيكون ذكرُها مشيراً بتعريض إلى تِلْكَ الأشباه أو الأضداد أو المخالفات، كقولك لرجل مفسد: خير الناس أنفعهم للناس. وهذا ما يُسمَّى **بالتعريض**، وهو نوع من الكناية.

الطريق الرابع: طريق استخدام لفْظٍ مكان لفظ آخر صالحٍ لأنْ يَدُلَّ على معناه لعَلاقة بينهما، كقولك: رَعَتِ الماشيةُ الغيثَ. وهذا ما يُسَمَّى **بالمجاز**.

ولنبدأ الآن بالأسلوب الأول من أساليب البيان، وهو:

التشبيه

وهو **لغة:** التمثيل، **واصطلاحًا:** مشاركة أمر لأمر في معنًى، بأدواتٍ معلومة؛ ملفوظةٍ، أو ملحوظة.

وقولنا: (مشارَكةُ): أي مماثلَةُ، أو مشابَهةُ. وادعاءُ الزيادة في المشبَّه أوقع، ولذلك قال الشاعر: **ما أنت مادحَها يا مَن تُشبِّهُها * بالشمس والبدرِ لا بل أنتَ هاجِيْها**

وقولنا: (مشاركةُ أمرٍ لأمرٍ): أي أو أكثرَ، فيقع التشبيه في شيء، أو أشياءَ متعددةٍ بين الطرفين. مثال: **أنتَ كاللَّيثِ في الشَّجاعةِ والإقْـ * ـدامِ والسَّيفِ في قِراعِ الخُطُوبِ**

وقولنا (في معنًى): أي في وصفٍ، أي لا في عينٍ، فهذا ليس تشبيهًا.

وقولنا (بأدوات معلومة): يُخرج الاستعارةَ والتشبيه الضمني، كما سيأتي بيانه في الاستعارة.

وقولنا: (أو ملحوظة): أي: محذوفة مقدرة. وسيأتي التمثيل عليها في أقسام التشبيه.

وأركان التشبيه؛ أربعة: المشبَّه، والمشبَّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

أما الأوَّلان؛ فهما طرفا التشبيه، وأما الثالث؛ وهو الأداة، فتكون تارةً حرفًا، كالكاف، وكأن، وتارةً اسمًا، كمِثل، وشِبه، وتارةً فعلًا، كيُشبه ويُماثل، ويُحاكي، ويُضارع.

وأما وجه الشبه؛ فهو: الوصف الذي يشترك فيه الطرفان، ويجب أن يكون أقوى، وأظهر في المشبَّه به منه في المشبَّه.

مثال: خليل كحاتِمٍ. وجه الشبه الكرم. وهو في حاتِمٍ أقوى منه في خليل.

أقسام التشبيه باعتبار أركانه:

ينقسم التشبيه باعتبار ذكر أو حذف بعض أركانه؛ إلى خمسة أقسام: مرسل، مؤكد، مفصَّل، مجمل، بليغ.

فالتشبيه المرسل؛ ما ذكر فيه أداة التشبيه، مثل:

كأنهم في ظهورُ الخيلِ نَبتُ رُباً * مِن شِدةِ الحَزْمِ لا مِن شدةِ الحُزُمِ

إنما الدنيا كبيتٍ * نَسجُه مِن عَنكبوتْ

وسُمِّي مرسلًا، لإرساله عن التأكيد وانفلاتِه منه. وانظر الجواهر الحاشية، ص: ٢١٨.

والتشبيه المؤكد؛ ما حذفت منه أداة التشبيه، لتأكيد الادعاء بأن المشبه عين المشبه به، مثل:

أنت نجمٌ في رِفعةٍ وضياءٍ * تَجتلِيكَ العيونُ شرقًا وغربًا

والتشبيه المفصَّل؛ ما ذكر فيه وجه الشبه، مثل:

أنا كالماءِ إنْ رَضِيتُ صَفاءً * وإذا ما سَخِطْتُ كنتُ لهيبًا

والتشبيه المجمَل؛ وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه، نحو: **النحو في الكلام؛ كالملح في الطعام.**

والتشبيه البليغ؛ وهو ما لم يذكر فيه أداة التشبيه، ولا وجه الشبه، نحو قول المتنبي:

أينَ أَزمَعْتَ أيُّهذا الهُمامُ * نحنُ نَبتُ الرُّبا وأنتَ الغَمام

أغراض التشبيه:

أغراض التشبيه: فوائده. وهي تعود دائمًا إلى المشبَّه. إلا في التشبيه المقلوب، فإنها تعود إلى المشبه به، نحو: (أَحِنُّ لهمْ ودُونَهمُ فَلاةٌ * كأنَّ فَسِيحَها صَدرُ الحَلِيمِ). ومن المقلوب قول النبي ﷺ: (ما ذئبان ضاريان جائعان أُرسِلا في زَريبة غنَمٍ، يأكلان ويفترسان بأسرع فسَادًا لها من حِرص المرء على المالِ والشرف لدينه). فكأنه ﷺ قال: **ذئبان جائعان** في زريبةِ غنمٍ؛ **كمالٍ وشرفٍ** تمكَّنا مِن قَلبِ امرئٍ مؤمنٍ في الإفسادِ والإتلاف.

ومن فوائد التشبيه:

١-تقريرُ حال المشبَّه، وتَثبيتُ، وتَوضيحُ ما أُسنِدَ إليه بالتمثيلِ، وهذا غالبًا ما يكون في المشبَّه؛ إذا كان أمرًا معنويًّا(وهو دعاءُ غير الله)، نحو:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾.

٢- بيان حال المشبَّه، بأنْ كان غيرَ معروف الصفة قبل التشبيه، نحو:

كأنكَ شَمسٌ والملوكُ كواكِبُ * إذا طَلَعتْ لم يَبدُ مِنهنَّ كَوكبُ

وصفته التي ظهرت هنا؛ سَطوتُه وقوتُه التي فاقتْ غيره من الملوك.

٣- بيان مقدار حال المشبَّه، بأن كان معروفًا بصفةٍ إجمالًا، فيزيدُ التشبيهُ قَدْرَها نحو:

مَدَدْتَ يَدَيكَ نحوَهم احتِفاءً * كمَدِّهما إليهمْ بالهِباتِ

٤-تزيين المشبه، أو تقبيحه، وأكثرُ ما يكونُ في المدحِ، والرثاءِ، والفخرِ، والهجاءِ.

أما المدح فكما في البيتين السابقين. وأما الذمُّ، فكثير، وينظر في مظانِّه.

هذا كل ما نحتاج إليه في المستوى الأول من باب التشبيه.

ولا بأس بشرح بالتشبيه من خلال ألفاظ النظم باختصار. وقراءتُه اختيارية:

(وَطَرَفَا التَّشْبِيهِ)المشبَّهُ والمشبَّهُ به؛ إما(حسِّيَّانِ)أحدُهما أو كلاهما. أي: يُدرَكان بإحدى الحواس الخمس، وهي: البصر والسمع والشم والذوق واللمس، نحو: كأنك شمس(وَلَوْ)كان أحدُهما أو كلاهما؛ ليس حِسِّيًّا؛ بل كان(خَيَالِيّاً)فإنه سيُلحَقُ أيضًا بالحسيِّ. والخياليُّ: ما وجدت مادتُه التي يَتكونُ منها دونَ عينِه، ولا تُدرِكُه الحواسُّ الخمسُ، لأنه غيرُ موجود، لكنْ مِن شأنِه أن يُدرَك بإحدَى الحواسِّ الخمس؛ لو وُجد، نحو: سقف القصر كأنه سماء عَقيقٍ، وأنواره مثل كواكب الياقوت(وَ)طرفا التشبيه؛ أحدُهما أو كلاهما؛ قد يكونان(عَقْلِيَّانِ)نحو: العلمُ كالحياة(وَمِنْهُ)أي ومِن العقليِّ، ويَلحَقُ به ما يكون(بِالْوَهْمِ)أي: أحدُ طرفيه، أو كلاهما وهميٌّ، وهو ما لا يُدرَك؛ هو، ولا مادتُه بإحدى الحواس الخمس، نحو: أسنان الذئب كأنياب الغول(وَ)من العقلي أيضًا، ويَلحَقُ ما يكون(بِالْوِجْدَانِ)أي أحد طرفيه أو كلاهما؛ وِجدانيٌّ، والجدانيات كالجوع والعطش، والمشاعر نحو: جاعَ جوعَ السمَك(أَوْ فِيهِمَا)أي: في الحسيِّ، والعقليِّ(يَخْتَلِفُ الجُزْآنِ)أي طرفا التشبيه، نحو: طبيبُ السوء كالموت، والعلم كالنور(وَ)أما(وَجْهُهُ)أي:

وجهُ الشَّبهِ، فهو(مَا اشْتَرَكَا فِيهِ)مِن صفةٍ، نحو: قلبُ المؤمنِ كالماءِ صَفاءً.(وَ)اعلم أنه قد(جَا)ء وجه الشبه هـ(ـذَا)تارةً داخلًا(فِي حَقِيقَتَيهِمَا)أي: يكون جزءًا مِن ذاتِ المشبَّهِ والمشبَّهِ به، كتشبيه ثوب قطنيٍّ بثوبٍ آخرَ، يُشبهه في هذه الصفة، وهي القطنية(وَ)جاء وجهُ الشبهِ تارةً أخرَى(خَارِجَا وَصْفاً)أي: وصفًا خارجًا عنهما، كتشبيه طِيبٍ بطيبٍ في الرائحةِ، أو اللونِ، فوجه الشبه؛ وهو الرائحة، واللون؛ وصفانِ خارجانِ (أي عارضان)، وزائدان على حقيقة الطيب، التي هي جِرْمٌ سائلٌ. ومن الصفات العارضة في المحسوسات؛ الحجم(فَـ)ـهذا الخارجُ عن الحقيقة؛ خذه في نوعين. الأول:(حِسِّيٌّ)خارجٌ عن حقيقةِ طرفَي التشبيه نحو: لون لحية عثمان كلون الزعفران. فوجه الشبه محسوس وهو الحمرة، لكنه ليس من حقيقة الطرفين(وَ)النوع الثاني(عَقْلِيٌّ)كقولك: العلم كالنور في الهداية. فوجه الشبه الهداية، وهي عقلية، غير محسوسة، وخارجة عن حقيقة الطرفين.(وَ)اعلم أن وجه الشبه هـ(ـذَا)بقسميه الداخل والخارج عن حقيقة الطرفين؛ يندرج تحته ثلاثة أنواع، فيكون:(وَاحِداً)أي مفردًا، نحو المثالين الأخيرين(اوْ فِي حُكْمِهِ)أي في حكم الواحد(أَوْ لاَ)ليس(كَذَا)أي ليس كالذي في حكم الواحد، أي المركب. **وانظر حاشية الجواهر (٢١٣-٢١٦)**(وَ)إذا سألت عن أدوات التشبيه؛ فـ(ـالْكَافُ أَوْ كَأَنَّ أَوْ كَمِثْلِ)وشِبْهِ. هذه هي (أَدَاتُهُ. وَقَدْ)تستطيع(بِذِكْرِ فِعْلِ)أن تستعمله في التشبيه، نحو: يماثل ويشابه ويشبه ويضارع(وَ)أما الـ(ـغَرَضُ مِنْهُ)أي: الفائدة من التشبيه، فالأصل أنه(عَلَى مُشَبَّهِ يَعُودُ)كتقريرِ حالٍ، أو بيانِ حالٍ، أو مقدارِه، أو تزيينِ المشبَّه، أو تقبيحِه(أَوْ)قد يعود الغرض والفائدة(عَلَى مُشَبَّهٍ بِهِ)وهذا في التشبيه المقلوب، نحو: **في طلعة البدر شيءٌ مِن محاسِنِها* وللقَضِيبِ نَصيبٌ مِن تَثَـنِّيها**. ثم إذا أردت أن تتعرف على ركني التشبيه(فَبِاعْتِبَارِ كُلِّ رُكْنٍ)المشبه والمشبه به(اقْسِما)الألف مبدلة من نون التوكيد المخففة(وأبدلنها بعد فتح ألفًا* وقفًا كما تقول في قفن قفا)، فاقسم(أَنْوَاعَهُ) إلى عدة أنواع من حيث التركيب والإفراد. **انظر الجواهر، ص:٢٠٢.**